

## الفصل السابع عشر

### [ الحياة من جديد ]

سرت بخطوات خافتة محاولة التخفي بين الصخور ما استطعت وأنا أدور دورة واسعة حول المخبأ الذي اتخذناه.. كان هذا دوري لمراقبة المكان وقد أظلمت السماء وارتفع القمر فيها عالياً.. ورغم كل ذلك الوقت إلا أنه لم يبد للحراس من أثر في المناطق القريبة منا، عدا عن بضع مرات مرت فيهن المروحية قريبة منا في بحث متذبذب..

غيرت طريقي المعتاد متخذة طريقاً جديداً لأتفحص المكان دون أن يكون في نيتي الابتعاد كثيراً عن المخبأ.. كان الصمت التام والهدوء يدفعانني أكثر للغرق في أفكار أتمنى إبعادها.. لم أرد نكاً جراحي من جديد.. قد تبدو مشاعري سطحية، لكن هذا ما تبقى منها بعد أن دفنت معظمها في تلافيف عقلي وردمتها تحت أطنان من البرود واللامبالاة..

تنهدت وأنا أتطلع حولي بحثاً عن لمحة حياة.. ثم غرقت من جديد في التفكير وأنا أسير بغير هدى.. هل سيكتب لنا ترك هذا الكويكب البائس والعودة لحياة طبيعية لا خوف فيها ولا بؤس؟ أم أننا سنقضي نحبنا وندفن فيه مسجونين تحت ترابه كما كنا مسجونين فوقه؟.. يضيق صدري كلما فكرت بهذه الأفكار.. وكلما تذكرت الموت.. فالموت يذكرني بمن أود لو أنساه.. لكن أنى لي هذا؟..

عدت أتنهد بحدة وركلت صخرة صغيرة بحنق مغمغمة "لماذا لا أفقد ذاكرتي الآن لأرتاح؟" طارت الصخرة بعيداً عني وسقطت خلف مجموعة شجيرات تسدّ طريقي.. وعندما سقطت صدر عنها صوت بهتٍ له وأنا أسمع صداه الذي تردد للحظات.. هل أنا أهذي؟ اندفعت فجأة بين الشجيرات غير عابئة بفروعها التي كانت تتشبث بملابسي بقوة، وبعد أن اجتزتها وجدت نفسي فجأة أخوض في حفرة صغيرة امتلأت بالمياه.. توقفت ألتفت حولي بدهشة وأنا أرى انعكاس ضوء القمر على المياه التي كانت رغم الظلام المحيط بنا إلا أنها تبدو مشعة بنور خفيف.. أهو ضوء القمر منعكس عليها أم أنني أتوهم هذا النور وعيناى تنظران بلهفة لهذا الكنز الثمين..

لم يسبق لي أن سمعت بوجود مياه في الكويكب ولست أدري إن كانت حقاً مياه أم سائل مميت.. لكن رغم أن المياه غمرت جزءاً من ساقي إلا أنني لم أشعر إلا ببرودة المياه تتغلغل بملابسي.. مددت يدي بشيء من الحذر ولمست المياه ثم نظرت ليدي.. كانت فعلاً مياه، شفافة شبه نقية لا يشوبها إلا أوراق الشجر وبعض الطين والحجارة.. ورائحتها تختلف قليلاً إذ تبدو كرائحة الحديد الصدي.. غالبت ترددي وشربت القليل جداً منها.. لو كانت سامة أو مضرّة فلن يعلم أحد بما حدث لي في هذا

الموقع المنقطع، لكنني لم أجعل ذلك يوقفني.. كان طعم المياه، كرائحتها، مثل الحديد الصديء، لكن بشكل خفيف جداً.. لو غالبت تقززي من الطعم والرائحة، فيمكن القول إن طعمه منعش تماماً..  
لم أستطع مغالبة لهفتي فركضت عائدة للمخبأ.. وهناك وجدت بسمه تراقب المدخل وقد وقفت بقلق لدى رؤيتي.. سألتها باستعجال "أين أدهم؟"

قالت بقلق "ذهب لإحضار بعض الطعام.. ما الذي حدث؟"  
أسرعت لحقيبتي وتناولت بضع حاويات للمياه التي كانت قد فرغت سابقاً، ثم هرعت عائدة لموقع المياه دون أن أجيب بسمه على تساؤلاتها.. كان العثور على الماء يحل مشكلة كبيرة سقطنا فيها، فقد نفذ الماء منا منذ بضعة أيام ولم نستطع تعويضه بالطعام أبداً لذلك كان الجفاف والتعب يظهر علينا بوضوح..

بعد مدة قصيرة، كنت أعود للمخبأ محملة بالحاويات المليئة، فرميت بإحداها تجاه بسمه، والأخرى تجاه أدهم الذي سألني فور دخولي "ما الأمر؟ بسمه أخبرتني أنك كنت تتصرفين بغرابة"  
قلت مشيرة للحاوية "أنظر ماذا وجدت لكم.."  
فتحا الحاويتين ونظرا فيها، ثم نظرا لي بدهشة وأنا أقول مبتسمة "اشربا ولا تخافا.. لقد سبقتكما واختبرتها، وهي منعشة للغاية"

شرب أدهم قليلاً في البدء، ثم رفع الحاوية وتجرع ما بها دفعة واحدة.. أما بسمه فقد ظلت تتذوقها وتشرب القليل بمزيج التردد والتقزز من الطعم.. ولما انتهيا سألني أدهم بتعجب "أين حصلت على هذه المياه؟"

قلت وأنا أجمع ما بقي من الحاويات الفارغة "في جانب من الجبل خلف شجيرات تغطي حفرة تجمعت فيها المياه بشكل سيكفينا شهوراً.. لقد عثرت عليها بصدفة بحتة.."  
أسرعا يساعدانني بحمل الحاويات، وخرجنا لأدلهما على موقعها ولنملاً ما نستطيعه من الحاويات بالماء تحسباً لأي طارئ.. كانت هذه مشكلة وقد حلت بفضل الله تعالى.. وأفضل ما فيها أنها صرفت عقلي عن التفكير فيما لا أود التفكير فيه..

\*\*\*\*\*

بعد أن ارتويينا من المياه شبه العذبة وتمددت عروقنا باسترخاء، نادانا أدهم والجديه مرتسمة على ملامحه.. وعندما اقتربنا وجلسنا معه، قال لنا "أعتقد أن وقتاً كافياً قد مر لئمالك أنفسنا وتجاوز ما مضى.. الآن علينا أن نمضي في مخططنا بدون تأخير"

شعرت به يحرق بي وهو يقول جملته تلك، فقلت له بشيء من الجفاء "أتعنيني أنا بقولك هذا؟ شكراً لأنك قد حرصت على مشاعري ولم تسارع لنبد رفيقك الذي مات بسببنا وتمضي في مخططاتك لإنقاذ عنقك"

فقال أدهم مقطباً "لست أعنيك أنت بالذات ولست أُلح لأي شيء.. لسنا هنا الآن لتبادل الاتهامات ونلقي التعليقات الجارحة.. ما أريد قوله إن بقاءنا هنا أكثر من ذلك ليس في مصلحتنا.. من يدري متى يدهم الحراس هذه الجبال بحثاً عنا؟ يجب أن نسرع في تنفيذ مخططنا الأساسي بالتسلل لإحدى السفن الفضائية فبقاؤنا هنا لن ينفع أمجد في شيء"

رغم كل ذلك، شعرت في حديثه اتهاماً لم يعجبني، وإن لم أعلق أكثر لئلا أبدو انفعالية أكثر مما بدت عليه في الأيام الماضية، فأضاف أدهم عندما لم يجد منا اعتراضاً "في البدء علينا جمع بعض المعلومات.. أريد أن أراقب المباني الإدارية، وأحصر تحركات الحراس والمركبات والسفن الفضائية.. أريد أن نحصل على أكبر قدر من المعلومات في مدة قصيرة وذلك عبر المراقبة المكثفة.. لا نريد تكرار ما حدث في السابق.."

غمرتني غصة وعاد لي الإحساس بتأنيب الضمير.. لو أننا فقط استمعنا له.. رببت بسمة على كتفي بتعاطف.. يبدو أنها تشعر بدخيلتي بسهولة تامة.. فقلت لأدهم محاولة تجاوز تلك النقطة "بسمة خارج هذه الخطة بالطبع لأنها ستكون أكثر توتراً من أن تستطيع التركيز على عملها.. فكيف سنعمل؟ هل سنتبادل المناوبات أم نعمل في الوقت ذاته في مكانين مختلفين؟"

قال أدهم مقطباً "لم أعن ذلك.. المراقبة هي مهمتي وحدي.. أنت عليك البقاء هنا وحماية بسمة إن تعرضتما لخطر.."

قلت بشيء من الحدة "لا يمكن.. وجود اثنان خير من واحد.. فلنجعلها بالمناوبة، ومن سيبقى في الكهف منا سيؤمن الحماية لبسمة.. لكنني لن أرضَ باستبعادي من هذه المهمة" فتح فمه ليعترض لكنني قلت بحزم "أنا سأذهب سواء رضيت أم أبيت ذلك.."

عندها تنهد أدهم وهو يصمت بمضض.. وهكذا ترونني بعد أن توجهت مع أدهم لاستكشاف أفضل موقع للمراقبة دون خطر كبير، أجلس فوق فرع شجرة كثيفة الأوراق، أراقب المباني التي كانت على شيء من المبعدة.. لم يكن بإمكاننا تجاوز المساحة الصخرية التي تفصلنا عن الإدارة فهي مكشوفة ومغطاة بأجهزة المراقبة ولاشك.. أما هذا المكان فعلى بعده فهو ممتاز للمراقبة وإن كان يتطلب الكثير من الانتباه والتدقيق..

أمضينا على حالنا هذا ثلاث أيام في مراقبة مستمرة لا تكاد تنقطع، متجنبين كشف موقعنا ما

استطعنا.. وتمكنا من خلال هذه المراقبة حصر المركبات والحراس الذين يتحركون من وإلى المباني الإدارية.. وربطنا حركتهم بقدوم السفن الفضائية لنعرف ما سيواجهنا من مخاطر عندما نقرر التسلل للسفينة الفضائية..

وفي اليوم الرابع، كنت أجلس فوق الفرع أتناوب بتعب فقد كنت لا أحظى إلا بنوم متقطع.. وقد تركت أدهم في المخبأ ينام بعمق بعد أن قضى ليلته في المراقبة كالعادة، بينما كان يترك لي المراقبة في النهار.. تأملت ما يجري في المباني الإدارية.. من مراقبتنا طوال تلك الأيام، لم نعثر على الثغرة التي ستتيح لنا التسلل بدون مخاطرة كبيرة.. لكننا لم نياس.. سنجد تلك الثغرة مهما طال بنا الزمن.. كانت الشمس قد قاربت الأفق عندما قررت أن موعد قدوم أدهم قد اقترب، فنزلت بحذر بعد أن تأكدت من خلو الموقع من الحراس.. لكن لم أكد أصل لمنتصف الجذع في هبوطي حتى سمعت صوت أقدام من خلفي تدوس على بعض الأوراق الجافة.. ظننته أدهم، والتفت خلفي لأصدم بمرأى أحد الحراس الذي انشقت عنه الأشجار.. كتمت شهقتي بصعوبة ويدي تفلت الجذع مع المفاجأة التي صدمتني، ورغم أنني سقطت على قدمي، إلا أن السقطة كانت من القوة بحيث انتشر الألم حارقاً في قدمي اليمنى..

نظرت خلفي فرأيت الحارس للدهشة لم يتحرك من موقعه، وإن كنت غير قادرة على استشفاف ما ينتويه وقبعته ترسم ظلالاً على ملامحه.. حاولت الوقوف والهرب قبل أن أقع في قبضته، وقد تناسيت لسبب ما السلاح المعلق على كتفي، لكن مع أول خطوة خطوتها بقدمي اليمنى فقد تهاويت أرضاً وأنا لا أتمالك نفسي من الألم الذي ينبع من كاحلي..

حاولت الهرب مجدداً.. لم يكن من مصلحتي مواجهته وحيدة هنا.. لكن الألم جعلني شبه عاجزة وأنا أركع أرضاً وأعض شفتي بألم.. ثم سمعت الحارس من خلفي يقول بدهشة وهو يقترب "مهلاً.. لماذا تهربين؟"

نظرت خلفي بذهول شديد وتعجب.. كان ذلك الرجل يرتدي زي الحراس.. ويبدو كأحدهم من بعيد، مع تلك القبعة التي لا تمكّني من رؤية وجهه بشكل جيد.. لكن ذلك الصوت.. ذلك الصوت الذي أعرفه تمام المعرفة.. لا يمكن أن يحمل رجلان الصوت ذاته.. هل بدأت أتوهم؟..

سمعته يقول بتعجب "ألم تعرفيني يا حمراء؟"

تحول ذهولي صدمة شديدة وأنا أدقق النظر في وجهه.. أيمكن؟ لا.. هذا غير معقول.. لقد مات.. أمجد مات.. أمجد لم يعد له وجود في عالمنا.. إذن من هذا الذي أراه أمامي؟ من هذا الذي يحمل صوتاً كصوته ويخاطبني بلطف كلطفه؟..

رأيتة يقترب مني.. ويقترب.. ويقترب بهدوء الذي يغيظني عادة.. ولكنني ظللت أنظر لوجهه الذي بدا

واضحاً من هذا القرب بدهشة شديدة.. كان هو.. أمجد ذاته الذي رأيته يسقط صريعاً على يد الحراس.. هل عاد من الموت أم أنني لازلت أتوهم؟..

ولما وقف أمامي مباشرة، مد يده وأمسك يدي وشدني لأقف.. لكن ساقِي أبْتَأ ذلك وأنا مسمرة مكاني رافعة وجهي إليه بصمت مذهول.. عندها ركع أمامي مغمغماً "ما بك يا حمراء؟ هل تأذيت من سقطتك هذه؟"

تلفتُ حولي بحيرة باحثة عن جواب مقنع.. لماذا يعجز لساني عن الحديث؟.. لماذا أعجز عن السيطرة على ساقِي وجسدي المرتجف؟.. وجدت يده تمتد وتمسح جانب وجهي برقعة وهو يقول بقلق "لم تبكين؟ هل تتألمين؟ هل أصابك شيء؟"

رفعت يدي أتلمس خدي لأجد الدموع تبلله، فمسحتها بسرعة وأنا مذهولة وقلت بصوت مرتجف "لاشيء.. لأبد أن لهذا سبباً.. لأبد أنه... لأبد....."

عجزت عن إقناع نفسي فألقيت بوجهي على ذراعي المعقودتين على ركبتيّ بصمت ودموعي تتحدر دون توقف.. ثم همست أخيراً من بين نشيجي "ظننتك مت.. كنت واثقة من ذلك" فشعرت به يضع يده على رأسي برفق متسائلاً بهمس "أيمكن أن يكون هذا سبب بكاؤك؟ لا.. هذا مستحيل.."

لم أملك نفسي وأنا أبكي كاتمة صوتي، وظل هو بقربي صامتاً يتلمس خصلات شعري.. ثم قال بصوت بدا لي مبتسماً "من المفترض أن أحزن لرؤيتك باكية.. لكنني سعيد.. حقاً سعيد برؤية هذه الدموع التي لم أحلم بأن تتساقط لأجلي"

ثم همس قرب أذني "هل حزنت لغيابي حقاً يا حمراء؟" دفنت وجهي أكثر وكأني أحاول الابتعاد عنه وخوفاً من مواجهته، فضحك وهو يبعثر خصلات شعري القصير بيده بعبث.. ألم أقل لكم إنه يعاملني كصبي؟..

ثم وقف وجذبني واقفة غصباً عن ساقِي.. ولما جذبني لأسير خلفه تأوّهت بألم وأنا أقع أرضاً من جديد.. فعاد لي وسألني بقلق "يبدو أن قدمك قد أصيبت.. دعيني أراها.."

خلعت حذائي وآلام لا حصر لها تنتشر في ساقِي مكمّنها كاحل قدمي اليمنى.. فرأيت الكاحل وقد تغير لونه وبدا متورماً بشكل خفيف.. ولملمس أصابعي تثير ألماً قوياً فيه.. فقال أمجد وهو يفحص كاحلي "يبدو أنك قد لويته أثناء سقوطك.. لكنها إصابة خفيفة وستغدو بخير بعد راحة يوم.. لكن يجب ألا تجهدي نفسك بالسير عليه لئلا تسوء حالتك.."

تلفت حوله قليلاً، ثم قال "المهم الآن أن نبتعد من هذا الموقع.. ستثور ثائرة الحراس بعد قليل وسيكشفون موقعنا خلال لحظات.."

مسحت الدموع التي لم تزل تغرق وجهي بينما لم يعلق هو أكثر عليها مما أراحني.. ساعدني بعدها لأقف، ثم سار معي ببطء وأنا أستند على كتفه محاولة عدم الضغط على قدمي اليمنى ما استطعت.. كان سيرنا بطيئاً، لكننا لم نتوقف ولم أحاول أن أبدي له تعبني لئلا يجبرني على الوقوف والراحة.. فالابتعاد عن الخطر هو أهم ما يشغلنا الآن.. وبعدها لكل حادث حديث..

بعد مسير صامت لفترة طالت، وقد توغلنا أكثر في الغابة وابتعدنا عن المسار الذي تتخذه مركبات الحراس عادة، وجدته يجلسني على جذع شجرة سقط أرضاً قائلاً "هنا سنكون بمأمن أكثر.. عليك بالراحة حتى نتمكن من الاستمرار فمزال الطريق أمامنا طويلاً"

لم أعلق وأنا أحاول تمالك أنفاسي المتعبة، فيما جلس أمجد قريباً يتأملني بصمت.. فأطرقت في جلستي وأنا أتأمل أصابعي حامدة الله تعالى أن توقفت دموعي المخجلة من الانحدار.. سيمر وقت طويل قبل أن أنسى الإحراج الذي شعرت به تلك اللحظات وأنا أبكي بضعف لست معتادة عليه.. وجدت يده تلمس خصلة من شعري بصمت، فقلت دون أن أرفع رأسي "أرجوك.. لا تفعل.."

ابتسم وأصابعه تنتقل لوجهي الذي تركت الدموع خطوطاً ظاهرة عليه فمسحها بخفة غير عابيء بغيطي، فنظرت له بنظرة أردتها حانقة، لكنها جاءت مترجية له أن يقف.. فتنهد وهو يسحب أصابعه مغمغماً "بودي لو أقرأ دخيلتك يا حمراء.. على الأقل الجزء الخاص بي فيها.. فأنت تثيرين حيرتي دوماً.."

قلت بصوت خافت "ليس في دخيلتي ما يهكم.."

ظل صامتاً متعجباً من أمري.. ثم قال وهو يقف فجأة "أين أدهم وبسمة؟ ألازلم في المخبأ ذاته؟"

أجبت دون أن أنظر إليه "بل غيرنا المخبأ بعد... بعد رحيلك.."

لم أجروء على قول بعد موتك.. ولم يعلق هو على لحظة الصمت التي تخللت حديثي، بل قال "إذن يجب أن أعتمد عليك في العودة.. هل تريدين مني أن أحملك؟ لقد ضغطت على نفسك في السير أكثر من اللازم"

قلت بسرعة "لا داعي لذلك.. لازلت أستطيع السير بعد.."

عاد يسندني بكتفه وهو يسير بصمت طوال الطريق إلى المخبأ، مما شكرته عليه.. فهذا مكنني من الاستفراد بعقلي وأفكاره المجنونة.. مرة أخرى أحاول إقناع عقلي أنني لا أعني شيئاً لرجل كأمد.. لا يمكن أن أعني له شيئاً.. ليس فتاة مثلي بوجه غير ملفت وشعر غريب اللون مبعثر دوماً وجسد غير جميل.. ليس فتاة مثلي سريعة الغضب عنيفة التصرفات لا تخشى من بضع لكمات ترمى في وجهها.. ما الذي قد يعجبه في فتاة كهذه؟..

قطع أفكاري وهو يقول دون أن يلتفت إليّ "هل قلقتم علي أثناء غيابي؟.. لم أرغب بإثارة قلقكم عليّ"

لكن لم أستطع العودة أبكر من هذا.. أنا أسف إن كنت قد سببت لكم حزناً..”  
 قلت بصوت خافت “المهم أنك بخير.. لقد حزنت بسمة كثيراً عليك”  
 لست أدري لأي شيء أهداف من ذكر بسمة فقط.. وقد بدا أن التساؤل قد تردد لديه بدوره إذ وقف فجأة والتفت إليّ متسائلاً بتعجب “بسمة فقط؟..”  
 فقلت بسرعة “أدهم ولا بد قد حزن أيضاً.. لكن ذاك الرجل لا يجيد التعبير بكلمات مناسبة.. لقد شتمك عندما أبلغني بالخبر..”

ضحك أمجد معلقاً “هذا يبدو كأدهم فعلاً.. لكن ليس هذا ما أريد سماعه”  
 أطرقت وأنا أدرك معنى قوله.. فصمت وأنا أدير وجهي بعيداً متجنباً النظر إليه.. أخشى أن تكشفني عيناها.. بعد كل ما فعلته منذ رأيتة اليوم، أخشى أن تتكشف مشاعري أكثر فأكثر فأصبح في موقف الضعيفة الذي أكرهه.. لا أريد أن أمكنه من الحصول على ما يلوي ذراعي به مستقبلاً، ولست أدري لم أنا واثقة أنه قد يفعل ذلك..

لكن بدا أنه لن يستسلم هذه المرة.. إذ ناداني بصوت متسائل “حمراء..”  
 لم أقو على مواجهة عينيه، فتخلّيت عن كتفه وابتعدت خطوة رغم ألم كاحلي وأنا مطرقة.. لكنه تشبث بيدي ليمنعني من التراجع قائلاً “هذه المرة لن أسمح لك بالهرب.. فقد سنمت هربك الدائم مني.....”  
 قطع حديثه إثر سماعه صوتاً خافتاً خلفنا.. التفتنا لنرى أدهم ينظر لأمجد بذهول ويقول بدهشة “أمجد؟ أهذا أنت حقاً؟ أنت حي؟”

ابتسم أمجد وهو ينظر لذهول أدهم قائلاً “أنا حي فعلاً.. فالأشباح لا وجود لها”  
 قال أدهم بغير تصديق “كيف يمكن ذاك؟ لقد رأيت إصابتك وسقوطك، وكنت متأكداً من موتك..”  
 كرر أمجد “لكني حي حقاً.. استغرقت بعض الوقت للعودة إليكم وسأشرح لكم السبب لاحقاً.. الحمد لله أنكم جميعاً بخير”

فاقترب منه أدهم ولكمه بقوة على كتفه كادت تلقي به أرضاً وهو يقول “حمداً لله على سلامتك أيها الوغد..”

ابتسم أمجد دون تعليق، بينما تساءل أدهم وهو ينظر إليّ “ما بك يا حمراء؟ هل أصبت؟”  
 أجاب أمجد عني “لقد التوى كاحلها، لكنها ستغدو بخير.. سأخذها للمخبأ لتتمكن من الراحة”  
 فقال أدهم “أنت مدين لنا بالكثير من التبريرات يا رجل.. كيف استطعت تركنا وقد ظنناك مت؟ عندما أعود بعد أن أنهى عملي سأطالبك بتفسير كل ما فعلته”  
 هز أمجد رأسه مغمغماً “لا تقلق.. ستفهم كل شيء عندما تعود..”

ابتعد أدهم دون أن يضيف المزيد، بينما سرت مع أمجد عائدتين للمخبأ وقد ظننته نسي حديثنا قبل

قدوم أدهم، لكنه قال بصوت خافت بعد مسير قصير "حديثنا لم ينته بعد.. ولن أدعه ينتهي قبل أن أعرف ما يدور في عقلك هذا يا حمراء"

نظرت له بدهشة لإصراره، فمنحني ابتسامة واثقة، جعلتني أشيح بوجهي وأنا أسير معه مزعجة الفكر.. هل حقاً أستطيع تجاهله؟.. هل أستطيع رمي كل المشاعر التي تنتابني لدى أقل تصرف منه خلف ظهري ولا أبدي انفعالاً؟.. هل أنا بالقوة هذه التي أتوقعها من نفسي؟..

\*\*\*\*\*

عند وصولنا للمخبأ كانت ردة فعل بسمة حافلة بالانفعال كشخصيتها المعتادة.. بكثير من الشهقات والدموع والبكاء.. وبكثير من العبارات الدرامية مثل "هذه معجزة.." و "حزنت كثيراً لما عرفت ما حدث".. وبالطبع فور أن ساعدني أمجد لأجلس في جانب المكان، فقد تركني واتجه لبسمة يربت على كتفها لتهدئة بكاءها المستمر..

ظلمت أنظر لظهره بدهشة من أمري وأنا أشعر بغیظ يتسلل إليّ.. مجرد رؤيته يعامل بسمة برقة كعادته تثير غيظي.. هذا يثبت لي أنني لا أعني له شيئاً.. فهو يعاملها بأحسن مما يعاملني.. ها هو يحاول تهدئتها بكلمات رقيقة غير عابيء بوجودي.. فكيف يمكن أن أكون شخصاً مهماً بالنسبة له؟.. أعتقد حالي وأدهم واحد عنده..

عضضت شفتي بصمت وأنا أشيح بوجهي.. سأتجاهل كل شيء.. لماذا يصيبني بالغیظ والحنق وأستسلم لذلك؟.. لم لا أعود لما كنت عليه سابقاً وأعامله بحيادية؟ قد أرتاح مما يصيبني من انفعالات شتى فيما لا يشعر هو بشيء من ذلك البتة..

طوال تلك الليلة التي غاب فيها أدهم منشغلاً بالمراقبة، لم يشرح لنا أمجد الكثير عدا عن تأكيده أنه بخير وأنه سيشرح لنا ما حدث لاحقاً.. أما أنا، فبعد أن قضيت يومي على فرع شجرة في جلسة مؤلمة، وبعد الانفعالات التي تباينت بين ذهول ودهشة وسعادة وغيظ، فقد كنت بلهفة للنوم لتناسي كل ما جرى، ولئلا أواجه عيني أمجد بعد أن امتلأت بالحنق منه ومن نفسي.. لذلك فقد استلقيت جانباً وتظاهرت بالنوم على أمل الاستغراق فيه فعلاً، لكنه كان عزيزاً عليّ وأنا أقضي ليلتي مستيقظة ساهمة الفكر..

وفي الصباح عند عودة أدهم، فقد اعتدلت جالسة وغسلت وجهي بالقليل من الماء الذي أملكه محاولة إزالة الإنهاك الذي أشعر به.. ثم تلمست كاحلي الذي ربطته البارحة بجزء من قماش اقتطعته من حقيبتتي اليدوية، فوجدت التورم قد ازداد قليلاً وإن كان الألم قد خف كثيراً عن السابق.. ورغم ذلك لم



يكن بمقدوري السير براحة عليه..

بعد تجمعنا فقد تحلقوا حولي ونحن ننظر لأمجد بانتظار تفسير مقنع لكل ما مررنا به.. فقال "ما حدث أثناء هروبنا ولا بد قد صدمكم.. لكن لحسن حظي فلم تكن الإصابة التي أصابتني قاتلة.."  
قال أدهم باعتراض "لكنها بدت كذلك.. لقد رأيت الرصاصات تخترق صدرك.. أكاد أجزم أنها اخترقت موضع قلبك، كما أن سقوطك بعدها من المركبة لم يوح بأنك بخير"  
ابتسم أمجد معلقاً "لا.. بل أصابتني في بقعة أعلى منه بقليل قرب كتفي.. لكن ربما فقداني لوعيي هو ما هيا لك أنني قد أصبت إصابة قاتلة.. المهم أنهم نقلوني للإدارة ولم يتركوني أنزف حتى الموت.. وبعد أن تلقيت العلاج المناسب في المشفى الصغير هناك، وأصبحت أفضل حالاً، فإنهم نقلوني لإحدى غرف العزل بغية استجابي.."

لاحظت عند قوله ذلك أن آثار استجوابهم ظاهرة في وجهه، وإن لم يبد لي بشكل واضح الليلة الماضية.. بينما قال أدهم "وكيف شفيت إصاباتك بهذه السرعة؟"  
هز كتفيه مجيباً "إنهم يستخدمون تقنيات متطورة لعلاج الإصابات.. لم يستغرق الأمر إلا بضع أيام لأغدو بخير تقريباً.."

ثم أضاف "كانوا ينقلونني يومياً من مبنى العزل لأحد المباني الأخرى حيث أخضع لاستجوابهم المكثف.. وأثناء ذلك رأيت وليد عدة مرات يراقبنا من بعيد، وإن لم يبد أنه ينوي التدخل.. وبعد عدة أيام تمكن من الحديث معي عندما أصبح موكلاً بإيصالي لموقع الاستجواب، وأخبرني أنه سيحاول إنقاذي قريباً.. وقد فعل ذلك بخطة بسيطة.. فقد استغلّ نقلي للمبنى الإداري في وقت قلّ فيه عدد الحراس في الساحة، فساعدني لإفقاد الحارس الذي يقيدني وعيه، وبعدها ارتديت ملابس الحارس وتسليت من المباني الإدارية بسهولة في إحدى المركبات مع وليد قبل أن ينتبهوا لاختفائي ويدركوا هويتي.. وقد تركني قرب الغابة وأكمل هو طريقه للنجم القريب.."

سأله أدهم بتقطيعة على جبينه "وماذا عن أجهزة المراقبة؟ لابد أنها قد صورت كل ما جرى.. وقد يكون وليد هذا قد كشف أمره بفعله ذاك"

هز أمجد رأسه نفيّاً قائلاً "وليد أعلم بها مني.. لقد اختار بقعة لا تصلها عين أجهزة المراقبة، فلا بد أنه لن يكشف أمره بهذه السهولة.."

ربت أدهم على كتف أمجد قائلاً "حمداً لله على سلامتك.. حقاً نحن سعداء بعودتك.. والآن ما الخطة؟"

اعتدل أمجد قائلاً بعزم "كالسابق طبعاً.. سننقذ عمي"  
قالت بسمة بدهشة "لماذا لم تفعل ذلك قبل هروبك من المباني الإدارية؟"

هز أمجد رأسه نفيًا وقال "لم يكن الوقت مواتيًا كما أبلغني وليد.. هناك أوقات معدودة يتم فتح الغرفة فيها، ولسنا نملك مفتاحاً إلا الذي يملكه قائد الحرس"

تساءل أدهم بتعجب "ألستم تتقون أكثر من اللازم في ذلك الرجل؟ لا معنى لاستغراقه في معاونتنا ولا فائدة يجنيها من ذلك.."

قال أمجد مقطباً "الوقت متأخر على هذه الشكوك.. إنه مدين لحمراء بحياته، وقد ساعدني على الهرب من أيديهم.. فلماذا تريد أن نشك بنواياه الآن ونحن بأمس الحاجة إليه؟"

قال أدهم "لكنه لم يثبت حسن نواياه بعد.. ماذا لو كان يستدرجنا لغرض في نفسه أو نفس رؤسائه؟"

فعلق أمجد وهو ينهض "أخبرتكم أننا نحتاجه.. فلا تسبب لنا بلبلة نحن بغنى عنها الآن"

وابتعد فيما أدهم يغمغم بسخط "لماذا يعاملني كطفل غرير أحمق؟ لقد تجاوزت تلك المرحلة منذ دهور"

قلت مبتسمة "حتى وأنت غاضب لم تنسَ سخريتك هذه؟ أنت عجيب يا رجل.."

دمدم أدهم وهو ينهض "وأنت تستمتعين بذلك؟"

لم أنكر ذلك.. وإن كنت متعجبة له.. لقد تبدل حالي بشكل سريع ما بين البارحة واليوم.. الآن أنا أكثر انشراحاً وتقلاً لما نحن فيه بدل البؤس والتعاسة التي كنت عليها قبله.. أكل هذا بسبب عودة أمجد؟..

رغم أنني لست واثقة أنه يحمل لي أي اهتمام حقاً، إلا أنني أشعر براحة عميقة لوجوده، وراحة أكبر لأننا عدنا لطريقنا الواضح واستعدنا أهدافنا وعزائمنا..

\*\*\*\*\*